تابع لنشأة علم الاجتماع وتطوره

01- أسباب تطور علم الاجتماع:

هناك العديد من الأسباب التي تضافرت لتساهم في تطور علم الاجتماع ، ومحاولات هذا العلم الجديد لتحليل وتفسير التغيرات التي طرأت على البناء الاجتماعي، والسعي من أجل إعادة الاستقرار للمجتمع وتجاوز مشكلاته المختلفة: وأهم هذه الأسباب نذكر:

أ- الاهتمام العلمي الزائد بالمشكلات الاجتماعية:

انبثق هذا الاهتمام نتيجة أحداث عديدة الأفراد على ضرورة تفهم مشكلات المجتمعات التي يعيشون فيها، وأصبح معروفا أن المشكلات الشخصية مثلها مثل مشكلات الجماعة وكلها ترتبط بالمشكلات العالمية.

ب- التكامل العلمي:

عرف القرن العشرون فترة التكامل العلمي ، التي بدأت منذ نيوتن واستمرت أثناء الانجازات التكنولوجية في العصر الحالي، ويمكن أن نلمس ذلك في كل من الطاقة والنقل والمواصلات وأدوات الاتصال والصحافة وازدياد الفرص المتاحة لتكوين الثروات، كما ان انتشار الصناعة أدى إلى ظهور مشكلات كعدم المساواة في توزيع الثروة، التفاوت الطبقي داخل المجتمع الواحد وكذا مشكلات انسق السياسي.

ت- المنهج العلمي في البحث:

فمع استخدام المنهج العلمي من أجل صياغة واختبار الفروض العلمية في العلوم التجريبية، كان لزاما على العلوم الاجتماعية أن تنحوا نفس المنحى، حتى تكتسب العلمية والمصداقية في نتائجها.

ث- الوضع الاقتصادي والاجتماعي:

لقد أعقب الحرب العالمية الأولى فترات كساد وبطالة بلغت ذروتها في ثلاثينيات القرن الماضي، كما أعقب الحرب العلمية الثانية حركات التحرر والاستقلال في كل من آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية، وانتشرت المبادئ التي تطالب برفاهية الدولة، مما دفع بعلم الاجتماع إلى قلب الحياة الاجتماعية؛

كما أدت التغيرات التي طرأت على الدولة والأسرة والاقتصاد والأفكار الدينية والأخلاقية، إلى الاهتمام بدراسة الجريمة وأسبابها والحراك الاجتماعي والتنمية الاجتماعية والتنظيم السياسي للدولة، مما تطلب المزيد من الدراسات للمجتمع في علم الاجتماع. (فرج، 1987، 192)

02- أهداف علم الاجتماع:

إن استخدام علم الاجتماع المنهج العلمي في دراسة المجتمع جاء من أجل دراسة الظاهرة الاجتماعية دراسة موضوعية مثلها مثل الظواهر الطبيعية ، لذا فإن هذا العلم في دراساته المتعددة يهدف إلى تحقيق جملة من الأهداف عكف المؤسسون ومازال المعاصرون يجتهدون في سبيل بلوغها، وهي: **(عبد الجواد، 26-27)**

أ- دراسة الحقائق الاجتماعية وظواهر المجتمع للوقوف على عناصرها وكيف مما تتكون ، ولمعرفة المبادئ العامة للحياة الاجتماعية ، والدعائم التي ترتكز عليها.

ب- دراسة أصل الظواهر والحقائق الاجتماعية والتطورات التي مرت بها على مر العصور والعوامل التي أدت إلى هذا التطور وساعدت عليه، لأن الظواهر الاجتماعية متطورة ومتغيرة بتغير الزمان والمكان.

ت- دراسة وظائف الظواهر الاجتماعية وتطور هذه الوظائف مع الزمان، واختلافاتها من مكان ألى آخر، إذ أن لكل ظاهرة وظيفتها الخاصة، فظاهرة الزواج مثلا تنظم العلاقة بين الرجال والنساء ، التكاثر ،...الخ، ووظيفة السياسة تنظيم العلاقة بين الفرد والدولة وبين الدول فيما بينها وهكذا.

ث- البحث في العلاقات الاجتماعية والروابط المختلفة، والتعرف على مدى التفاعل الذي يحدث بين الأفراد بعضهم، وبن الجماعات وبعضها، وعلاقات بين الظواهر وبعضها...الخ.

ج- دراسة العلاقات والتأثيرات المتبادلة ما بين الأفراد والتجمعات الإنسانية وظروف البيئة الطبيعية والجغرافية.

ح- يهدف علم الاجتماع إلى الكشف عن القوانين والنظريات الاجتماعية التي تخضع لها الظواهر الاجتماعية سواء في أصلها أو نشأتها أو تغيرها وتطورها أو تأثيراتها المتبادلة ، وهذا ما يضفي على علم الاجتماع الموضوعية والعلمية.

03- علاقة علم الاجتماع بالعلوم الأخرى

إن الدارس للعلوم الاجتماعية يدرك جيدا أنه لا توجد حدود فاصلة فيما بينها، كما هو الحال بالنسبة للعلوم الطبيعية والعلوم الدقيقة، فهناك تشابك فيما بينها بدرجات متفاوتة من جهة، وبينها استخدامات من جهة أخرى ، تساهم من قريب أو بعيد في فهم المجتمع في نشأته وتطوره والتغيرات التي يعرفها عبر الزمان والمكان، لدرجة أنه لا يمكن الفصل بينما هو اقتصادي أو سياسي أو سيكولوجي وحتى أنثربولوجي وفلسفي.

أ- علاقة علم الاجتماع بالفلسفة:

نشأ علم الاجتماع في الربع الأول من القرن التاسع عشر في أوروبا في معترك الصراع بين تيارات فلسفية متعارضة ، سبقت وواكبت انهيار النظام الاجتماعي القديم (الإقطاعي) وصعود النظام الاجتماعي الجديد (الرأسمالي)، تيارات فلسفية انطلقت من منطق التنوير كالفلسفات النقدية ، أو تلك المضادة كالتيار الفلسفي الرومانسي المحافظ، وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على أن علم الاجتماع له صلة وثيقة بالفلسفات الأخلاقية والسياسية منذ مرحلة النشأة.

ورغم ذلك فهناك نقاط اختلاف بينهما، وتحديدا في أهداف كل علم وطرق الوصول إلى هذه الأهداف، فالفلسفة تسعى إلى بلوغ ما تتصوره من حقائق نهائية أو مطلقة للأشياء والظواهر والكون والحضارة وحتى القيم الإنسانية النهائية المطلقة والوجود ككل، أما العلم فهدفه محدد بالحقائق النسبية ولا يسلم بوجود حقائق مطلقة أو علل نهائية، كما سؤال الفيلسوف طموح وسؤال العالم متواضع .

أما طرق الوصول لأهداف الفلسفة فتفترض تصورات أو تعميمات قبلية تتشكل في ذهن الفيلسوف يتجه إلى تطبيقها في الملموس على حد تعبير البعض بناءا على منطق التفكير الفلسفي الذي يبدأ من الكليات إلى الجزئيات، أما العلم فيؤمن بالخبرة الموضوعية التي تستند إلى الملاحظة ورصدها بمختلف أساليب القياس الدقيقة منطلقا من مسلمات المنطق العلمي الذي يتميز بالوجود الموضوعي بشكل مستقل عن تصوراتنا الذاتية، لذا فإن المعرف العلمية تبدأ من الجزئيات لتصل إلى التعميمات.

ب- علاقة علم الاجتماع بعلم النفس:

من الصعوبة بمكان الفصل بشكل أو بآخر بين علم النفس وعلم الاجتماع صعوبة الفصل بين الفرد والمجتمع، وعلى الرغم من أن علم النفس يدرس الفرد بوصفه شخصية أو كيانا سيكولوجيا متميزا، بينما علم الاجتماع يدرس الجماعات والمجتمعات والنظم الاجتماعية التاريخية ، فالأفراد بوصفهم فاعلين نشطين في حركة التاريخ هم الذين يخلقون النظم الاجتماعية والحضارات.

إلا أن هناك من يحاول إبراز اهتمامات كل علم على حدا، فعلم النفس يهتم بالعالم الداخلي للفرد أي العمليات العقلية والنفسية التي تجري داخل الفرد كالإدراك، التذكر، التخيل، الانفعال بالإضافة إلى المظاهر المرضية لهذه العمليات، أما علم الاجتماع فإنه يهتم أساسا بالعالم الخارجي للفرد أي علاقته بالآخرين وتفاعله معهم وعلاقاته بالجماعات والنظم الاجتماعية والثقافية.

ومع ذلك فإن علاقة علم النفس وعلم الاجتماع علاقة وثيقة، والتقارب بين العلمين يتضح في فرع علم النفس الاجتماعي الذي يُعنى بدراسة كيفية تأثير السلوك والشخصية والبيئة الاجتماعية، إذ لا

يمكن فهم السلوك إلا في سياقه الاجتماعي ، أما الحقيقة الاجتماعية فتعزى في كثير الأحيان إلى البعد النفسي.

ت- علاقة علم الاجتماع بالتاريخ:

التاريخ علم يدرس الأحداث الإنسانية الغير متكررة المرتبطة بزمان معين ومكان معين، بينما علم الاجتماع فيدرس الأنماط المتكررة القابلة للتكرار من الأحداث الإنسانية مع أنهما قد يتناولان الموضوع ذاته، إلا أنهما يختلفان في الهدف وزاوية الدراسة، فالثورة مثلا بوصفها تغيرا اجتماعيا نوعيا يمكن أن تكون موضوعا مشتركا للبحث بين علم الاجتماع والتاريخ، لكن علم الاجتماع يهتم بها بوصفها ظاهرة اجتماعية متكررة وقابلة للتكرار بصرف النظر عن مكان ما وزمان ما وثورة بعينها، أنه يدرس ثورات متفرقة حدثت في أماكن متفرقة وأزمنة مختلفة ليس بهدف اكتشاف النمط المشترك بين الثورات جميعا وذلك لكي يصل إلى تعميم حول "الدوافع الاجتماعية الاقتصادية والسياسية للثورة بوصفها فعلا إنسانيا"، أما المؤرخ يرصد كل الثورة بملابساتها وأحداثها ونمطها الفريد وشخصياتها البارزة، لكي يسجل الثورة كحدث إنساني فريد غير متكرر أو أسلوب بأسلوب آخر أنه يهتم بالثورة الفرنسية بوصفها ثورة فرنسية والثورة الروسية بوصفها ثورة روسية ...الخ. (عودة، 36)

أما من جهة الاستفادة بين العلمين، فيقدم علم الاجتماع للمؤرخ الرؤية الاجتماعية التي يستطيع من خلالها أن يرى الأحداث والأخبار في سياقها الاجتماعي الطبيعي، كما أنه يقدم له أيضا المفهومات والمقولات والأدوات المنهجية، كمفهوم القوة الاجتماعية أو القوى والسلطة والطبقة والفئة والتغير والاستقرار والصراع وغير ذلك من المقولات التي يستخدمها المؤرخ ذو البصيرة الاجتماعية في رصده للأحداث وتحليلها.

ومن ناحية أخرى فإن عالم الاجتماع ذا الحس التاريخي وذا الرؤية التاريخية أي الذي يفهم المجتمع بوصفه ظاهرة تاريخية، وهو المنطلق الصحيح لدراسة المجتمع ودراسة أي ظاهرة اجتماعية جزئية (على خلاف الاتجاهات الوضعية والوظيفية) يعتمد اعتمادا أساسيا على المادة التاريخية، وهي نتاج عمل المؤرخ ذاته، المرتبطة بالظاهرة الاجتماعية قد تشكلت في سياق تاريخي، أو هي ظاهرة تاريخية أيضا، فلا مفر من الرجوع إلى جذورها التاريخية حتى يمكن فهمها في سياقها الحقيقي أيضا ويبرز ذلك الاعتماد بصورة ملموسة في أعمال الرواد العظام لعلم الاجتماع. (عودة، 38)

ث- علاقة علم الاجتماع بالسياسة:

لقد ركز علم السياسة تقليديا على مجالين هامين وهما النظرية السياسية التي تُعنى بدراسة الآراء المتعلقة بالحكومة والأشكال الحقيقية للحكومة، أما المجال الثاني فهو الإدارة الحكومية التي تعنى بالوصف الشامل لبناء الهيئات الحكومية ووظائفها مع تأكيد خاص على ترابط الاثنين معا.**(الغزوى وآخرون، 2006، 34)**

وقد أدرك علماء الاجتماع أن الدراسة المستقلة بالنظام السياسي لن تعطي تصورا نظريا واضحا ومتكاملا، ولابد من إدراك العلاقة بين النظام السياسي والأنظمة الاجتماعية الأخرى التي يتكون منها المجتمع، ومن هنا ظهر علم مستقل يربط العلمين معا وهو علم الاجتماع السياسي، هذا التخصص الذي يهتم بتحليل السلوك السياسي والأنظمة السياسية ودراسة التفاعل الاجتماعي الذي تتضمنها إجراءات الحكومة في ضوء البناء الاجتماعي والثقافة السائدة في المجتمع. **(الغزوي وآخرون، 2006، 35)**

ولعل أوجه استفادة علم السياسة من علم الاجتماع متعددة، كفهم مواضيع التصويت في الانتخابات ، المشاركة السياسية، المواطنة، الأنظمة السياسية والمشكلات السياسية...الخ، و ذلك لصعوبة فهمه وتحليله خارج إطاره الاجتماعي .

ج- علاقة علم الاجتماع بالاقتصاد:

يهدف علم الاقتصاد إلى دراسة الإنتاج والتوزيع وحجم الاستهلاك والخدمات ، كما يهتم الاقتصاديون بدراسة الأسعار والضرائب والعوامل المؤثرة فيها ، ويعد علم الاقتصاد أكثر العلوم الاجتماعية تقدما لأنه في الغالب يقيس مواضيعه ببساطة أكثر من العلوم الأخرى، حيث طور الاقتصاديون أدوات رياضية معقدة لبحوثهم وتفسيراتهم وتنبؤاتهم.(الغزوي وآخرون، 2006، 33)

إلا أن الاقتصاد هو جزء من المجتمع فالسلع والخدمات لا تنتج ولا تسوق ولا تستهلك بنفسها ، هذه المجالات الاجتماعية للحياة الاقتصادية هي موضوع تخصص يجمع بين الاقتصاد والمجتمع وهو علم اجتماع الاقتصادي ، الذي يعنى بدراسة النواحي الاجتماعية للحياة والممارسات الاقتصادية ، ويقدم صورة واضحة للعلاقات المتبادلة بين الجوانب الاقتصادية والجوانب الاجتماعية التي تؤثر فيها وترتبط معها في سياق الحياة الاجتماعية، فكثير من علماء الاجتماع اهتموا بالحياة الاقتصادية ، "**كإميل دوركايم**" الذي درس تقسيم العمل والتماسك العضوي للمجتمع، و"**ماكس فيبر**" الذي قدم لنا مؤلفا كاملا حول البروستانتية والرأسمالية كنظام اقتصادي.